انطولوجيا الأدب الهامشي بين النقد والوظيفة

رواية الخيال العلمي أنموذجا

أ. سعيدة خلوفي
جامعة باجي مختارعنابة (الجزائر)

Abstract :

The concept of literature has changed qualitatively in line with the new reality resulting learners to dialogue creativity in the face of two types of culture, Official culture dedicated by force of law and practice official culture produced in turn officially literature taught in educational institutions shall be subject to criticism and interpretation. In contrast, secondary culture marginalized resulted from consumer literature Does not rise up to penetrate the world of teaching or interpretation which is known as parallel or equivalent or similar or marginal literature that covering the several types, what are the references of this division ?, and what the relationship limits between the parallel literature and transcendental literature ? Among the literature marginal models science fiction novels in which the scientific spoken interferes with the literary spoken across specific dialectic begging strange and embrace the unknown

Résumé:

Le concept de la littérature a qualitativement changé en ligne avec la nouvelle réalité des apprenants au dialogue créativité résultant en face de deux types de culture, la force dédiée de droit et de pratiquer la culture officielle produite à son tour officiellement la littérature enseignée dans les établissements scolaires est soumise à la critique et de l'interprétation. En revanche, la culture secondaire marginalisés abouti à la littérature pour un consommateur ne la hauteur de cette pénètre dans le monde de l'enseignement ou de l'interprétation qui est connu comme parallèle ou équivalent ou de la littérature ou marginales comme celle couvrant les plusieurs types, ce sont les termes de référence de cette division? et quelles sont les limites de la littérature relation transcendante parallèle avec la littérature? Parmi les romans littérature modèles marginaux de science-fiction dans lequel les interfère parlées scientifiques avec l'littéraire parlées à travers la dialectique spécifique mendicité étrange et embrassent l'inconnu.

الملخص:

تغير مفهوم الأدب تغيرا نوعيا تماشيا مع الواقع الجديد مما أدى بالدارسين إلى محاورة الابداع وذلك في مواجهة نوعين من الثقافة، ثقافة رسمية مكرسة بقوة القانون والممارسة أنتجت بدورها أدبا رسميا يدرس في المؤسسات التعليمية ويخضع للنقد والتأويل،وفي المقابل ثقافة ثانوية مهمشة تمخضت عن أدب استهلاكي لا يرقى إلى أن يلج عالم التدريس أو التفسير وهو ما يعرف بالأدب الموازي أو المعادل أو الشبيه أو الهامشي الذي تنضوي تحته عدة أنواع ، فما هي مرجعيات هذا التقسيم؟، وما حدود علاقة الأدب الموازي بالأدب المتعالي؟. ومن بين نماذج الادب الهامشي روايات الخيال العلمي الذي يتداخل فيها المحكي العلمي مع المحكي الأدبي عبر جدلية محددة تتوسل الغرابة ومعانقة المجهول.

المقدمة:

أضحى الأدب مع بدايات القرن التاسع عشر محورا لدراسات عديدة استنطقت مختلف الأعمال من أجل تحديد المبادئ والأسس التي تحكم العملية الإبداعية، بالبحث في ماهية الأدب وغاياته وطرائق تشكيله.

وتصدى المنظرون لهذه البحوث وفق سيرورة تاريخية متعاقبة تغير فيها مفهوم الأدب تغيرا نوعيا تماشيا مع الواقع الجديد، مما أدى بالدارسين إلى محاورة الإبداع في علاقاته المختلفة باللغة أو المتلقي أو العلوم الأخرى التي تقع معه على التماس ،وهنا ألفى الناقد نفسه في مواجهة نوعين من الثقافة، ثقافة رسمية مكرسة بقوة القانون والممارسة أنتجت بدورها أدبا رسميا يدرس في المؤسسات التعليمية ويخضع للنقد والتأويل،وفي المقابل ثقافة ثانوية مهمشة تمخضت عن أدب استهلاكي لا يرقى إلى أن يلجى عالم التدريس أو التفسير وهو ما يعرف **بالأدب الموازي** أو **المعادل أو الشبيه أو الهامشي** الذي تنضوي تحته عدة أنواع ، **فما هي مرجعيات هذا التقسيم؟، وما حدود علاقة الأدب الموازي بالأدب المتعالي؟**.علما أن أدب الخيال العلمي الذي اخترناه كنموذج للدراسة في ورقتنا البحثية هذه تمتلك كغيرها من روايات الأدب المعادل خاصية التشويق والإثارة مما يدفع القارئ إلى خوض غمارها وهو مسلوب الإرادة ، من خلال إيراد كم هائل من المعلومات التي يتداخل فيها المحكي العلمي مع المحكي الأدبي عبر جدلية محددة تتوسل الغرابة ومعانقة المجهول، لترمي بالقارئ في متاهة لا مخرج له منها إلا بإغلاقه لآخر أبوابها ومغادرته لمجتمع المتخيل، وقد يحمل معه كل تساؤلاته حتى وهو يتعاطى مع عالمه الواقعي من جديد.

1- تحديد المصطلح: (الأدب الهامشي/الموازي)

نشأ الأدب الهامشي مرتبطا بحركات المعارضة المتنوعة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو فنية، وهي ليست وليدة القرن العشرين بل ولدت مع ولادة الأدب نفسه لكنها تجلت بحدة أكثر في هذا القرن بسبب تحقيق الديمقراطية التي منحت نوعا من الحرية لهذه المعارضة كما أن بنية أدب العصر الصناعي قد جعلت الأدب الرسمي يفسح المجال للأدب الهامشي لأنه يعرض قضايا تنقسم الى قسمين: paralittérature الواقع اليومي للإنسان بلغة مبسطة، وبالرجوع إلى مختلف القواميس نجد أن لفظة

التي تعني (بجانب) أو (حول) أو (مقابل) وكذلك (ضد) :Para السابقة

والجذر Littèrature:

الذي يعني (أدب) مما جعل المصطلح الفرنسي يعني الأدب الشبيه أو الأدب الموازي أو المعادل أو الأدب الهامشي، واختيار المصطلح الانسب لترجمة المصطلح الأجنبي يضعنا أمام عدة خيارات، فالأدب الشبيه اعتراف ضمني بلاأدبية هذا الانتاج لأنه مجرد شبيه، أما الأدب المعادل فإنه يحيل على التكافؤ والتساوي بين الطرفين وهوما لا يوجد في الواقع.

لهذا فالأدب الموازي والأدب الهامشي هما الأقرب إلى المعنى المراد، لأنهما يحيلان على الانتاج الذي يقع على هامش الأدب الراقي ويسير بالموازة معه.

في سنة (La rousse) ابتداء من سنة 1984 ثم قاموس الأدب الصادر عن دار (Le Robert) وقد دخل هذا المصطلح قاموس

1986، وفي سنة 1992 أدرج المصطلح ضمن القاموس العالمي للأدب الصادر عن المنشورات الجامعية الفرنسية PUFs [1]

إلا أن الميدان النقدي يشهد تداخلا كبيرا بين الأدب المضاد والأدب الشبيه، إذ يشير اللفظ الأول إلى حقل الأدب الذي يقع خارج نطاق الأدب الرسمي، فيضم الرواية المسلسلة و أدب المحطات وروايات الخيال العلمين والرواية

البولسية، وأدب الطفلو الرواية الوردية والأدب الشعبي، والشريط المرسوم بالإضافة إلى الأنواع التي أرادت خرق المعيار الفني التقليدي مثل الميلودراما في محاولتها لتكسير مبدأ نقاء النوع المسرحي والرواية الجديدة في فرنسا (ألان روب غربيه، ناتالي ساروت، ميشال بوتور.....) التي استهدفت كسر القواعد الروائية المعتادة[2]، **بينما** يضم حقل الأدب الموازي كل الأنواع الاستهلاكية التي تقدم المضمون على حساب الشكل، فالرواية التي تنتمي إلى الأدب المضاد (الرواية الجديدة) تشترك مع الرواية الموازية في خرقها الجماليات التي أقرتها المؤسسة الأدبية، لكن الاختلاف يكمن في كون القواعد السردية في الأنواع الاستهلاكية تعمل بصفة عمياء، بينما تعمل هذه القواعد في الرواية الجديدة من خلال خرقها ومحاولة تكسير منطقها[3].

أما عن نزعة المعارضة التي حملتها الأجناس المهمشة فإنها مست لغة الكتابة كما مست الجنس نفسه، وهو ما حدث مع شكسبير الذي منعت اعماله من التداول لأنها حملت بذور الرومانسية ذات الفكر التحرري في عصر الكلاسكية، فلم تعد إلى حظيرة الأدب إلا مع المذهب الرومنسي.

ولعل اعتراف المؤسسة الادبية الفرنسية بالرواية الجديدة التي حاولت خرق قوانين السرد، وعصفت بالزمن والشخصية وتحولت من رواية الحكاية الى حكاية الرواية، هو صورة واضحة لسيطرة الثقافة النخبوية في هذه المؤسسة وهو نزوع نحو التعالي اللغوي، فيما كانت ظاهرة الأدب الموازي أكثر جرأة وانتشارا في أمريكا نظرا لثقافاتها الهجينة القائمة على التلاقح اللغوي والعرفي وبالتالي الثقافي،

و إذا أغتبر الأدب الهامشي مقولة ايديولوجية أكثر منها مقولة جمالية فذلك لأنه يتأسس على تقديم المعرفة والإنتصار للفكرة على حساب الشكل، وقد ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في النصوص الشعبية الشفوية و أدب الجوالين، أما ابتداء من أواخر القرن العشرين فقد اقتصر على الرواية البوليسية ورواية الخيال العلمي، والشريط المرسوم والرواية الوردية والرواية المصورة[4]

- اهتم المقارنون بحقل الآداب المهمشة في محاولة للكشف عن الأنواع الأدبية التي ترافق الأدب الرسمي في صمت من خلال إلتقاء الضوء على العلاقات الأدبية بين مختلف الأمم التي تبدو أكثر تجليا في الآداب الشعبية، ثم من أجل وضع نظرية للأدب تخلخل الثوابت وتضع الأدب موضع المساءلة والشك حتى يتسنى لها تجديد محتواها.
- أما عن بداية الاعتناء بهذه الكتابات فكانت في جامعة بوردو 1961،1963 الذي طرح قضية الآداب المتعالية والآداب الدنيا، ثم ملتقى (سيرسي) أين تحدد مصطلح الأدب الهامشي وتعينت حدوده[5].
- ارتبط الأدب الهامشي بمشاكل الطبقة الاجتماعية البسيطة لأنه لا يطمح إلى جمهور يمتد عبر الزمن بقدر ما يطمح إلى تحقيق أثر نفسي يصل إلى حد البهجة أو الفرح، لأن الرواية المهمشة تنزع إلى إثارة فصول القارئ بمخاطبة الجوانب الحسية فيه، ومع أن هذه الأعمال الموازية كانت تسير في صمت منذ عهد بعيد بموازاة الأدب المتعالين إلا أنها لم تبرز على الساحة الثقافية بهذا الشكل إلا بتأثير عوامل متعددة أهمها:
- التطور الصناعي الذي شهده القرن التاسع عشر و أنتج ذوقا جديدا ومواضيع جديدة، وفتح المجال لخاصية السلعية التي طالت مختلف السلوكيات ومنها الكتابة الأدبية التي خضعت لقانون العرض والطلب.
- إسهام الصحافة في الترويج لهذا الأدب، من خلال نشر الروايات المسلسلة حيث وفر لها النشر، بينما ضمت هذه الرواية للصحافة التوزيع الكبير والربح الوفير.
- استفادة مختلف الابداعات الموازية من الاكتشافات العلمية، فلم يكن الحديث ممكنا عن الجريمة المنظمة في الرواية البوليسية التي يعتمد حلها على الطب دون أن يعرف العالم نتائج تحليل (ADN)،ولا الحديث عن الشريط المرسوم قبل أن تتطور وسائل الطباعة[6]

- المذهب الرومانسي الذي فتح المجال لنشاط الآداب المهمشة و الآداب الشعبية.
- العلاقة المباشرة التي يقيمها الأدب الموازي مع عصره، فيحاور مختلف القضايا التي يعيشها إنسان هذا العصر.

2-حدود الأدب الرسمي والهامشي:

- لعل أول ما تثيره مسألة الأدب الشبيه هي قضية المعارضة سواء على مستوى الجماليات الرسمية المكرسة من قبل المؤسسة الثقافية أو على مستوى الايديولوجيا من حيث مضمون الأعمال الموازية المعارض للايديولوجيا السائدة، مما جعلها تتفتح على الآداب الكولونيالية، والآداب الشعبية المناهضة للطبقة الاستقراطية فقد تسببت التغيرات الجدرية التي ميزت الحياة الانسانية من تطور صناعي وارتفاع في السكان وتصاعد النزعة الفردانية إلى بروز تيار أدبي معارض جسد أدب الرفض أو ما عرف بضد الأدبAlittérature[7].
- كما نجد الأدب الخاضع للمتطلبات الخاصة، كالأدب النسوي وأدب الأطفال و أدب العمال، أو الكتابات الماركسية في الولايات المتحدة الممنوعة بقوة القانون، وكذلك الكتابات السياسية في الوطن العربي ذات النزوع الإسلامي، كما تجلت المعارضة في جانب اللغة التي حاولت ان تكون أكثر قربا من الطبقات الفقيرة ومن الواقع اليومي، فتنازلت عن تعاليها الذي اكتسبته من الانتاج الراقي للأدب.
- وفي هذا المجال أشار باختين إلى أسلوبين كانا قد ميزا العصر الوسيط في أوربا الأسلوب الرفيع الذي كرسته الايديولوجية الرسمية والكلاسكية ، والأسلوب الشعبي أو الثقافة الكرنفالية التي أهملتها الدراسات الأدبية وتجاهلها التاريخ الأدبي[8]
- ومن هذا المنطلق كان تمييز الأدب من اللاأدب أو الأدب المتعالي من شبيه الأدب، يعتمد على اللغة أو الاعتناء بالشكل بصفة اساسية ثم نوعية المتلقي كذلك
- أما المواجهة التي قد تحدث في هذا النوع من الأدب بين القارئ والنص، فغالبا ما تكون على مستوى المضمون ولا تتعدى الألغاز والغرابة التي تلف الأحداث فتحدث قلقا لدى القارئ، وهذا ينتهي حالما تنتهي القصة على سبيل المثال في الرواية البولسية أو رواية الخيال العلمي، بينما تعجز القراءة عن استنفاد النصوص المتعالية أو تأويلها تأويلا نهائيا.

3-أنواع الأدب الهامشي:

- **الأدب الشعبي:** يعد الأدب الشعبي أساس مختلف الدراسات الأدبية والدراسات المقارنة على وجه الخصوص إذ بدأت معه قبل أن تطال الأدب الراقي، كما كان وابتداء من البنوية ميدان المناهج النقدية التجريبي.

وقبل هذا وذاك كان الأدب الشعبي وسيظل المعبر الحقيقي عن حياة الشعوب وعاداتها وتقاليدها والمحافظ على هويتها،ولأنه كان أدبا مجهول المؤلف باعتبار طابعه الجماعي وغير مدون لأنه ينتقل بالرواية،و لأنه أيضا أدب عامي اللغة، فإن المؤسسة الثقافية الرسمية أخرجته خارج مجالها فعد أدبا هامشيا وفقدت بذلك الساحة الأدبية جزءا مهما من الأدب ككل.

ولما كان الأدب الشعبي أجرأ على القضايا المحظورة من الأدب المتعالي فإنه أكثر ثراء و أقل تبعية واحتراما لمعايير السلطات المختلفة، لهذا حمل الأدب صفة كل الآداب المهمشة التي تقوم على المعارضة واختراق المعايير.

ويبدو الأدب الشعبي العربي بمختلف فروعه الشعر والقصة والحكاية أكثر تهميشا بالمقارنة مع الأنواع الأخرى لأنه يعتمد على النقل الشفوي واللغة العامية وعلى اللغة البسيطة في الحالات النادرة التي يدون فيها باللغة الفصحى مع أن التعالي هو المعيار الذي تعتمد عليه المؤسسة الرسمية في اختيار أدبائها بدليل أن الأعمال الأدبية التي تكسر كل منطق للكتابة المألوفة تقابل بالاعتراف والقبول من هذه المؤسسة.

الشعر: يغلب على نصوص الأدب الهامشي طابع الحكي، لهذا جاءت معظمها في شكل الروايةنظرا لأنها تنحو دائما نحو أصولها الشعبية التي أكسبتها لغة تجمع بين الأسلوب البسيط و الأسلوب المتعالي.

بينما ظل الشعر ينزع نحو الاسلوب المتعالي القائم على غموض العبارة،وتعقيد الصورةوتحقيق الايقاع حتى في قصيدة النثر، مما أدى بالنصوص الشعرية المدونة بالعامية إلى التهميش و الاحتقار.

فلعل اللغة الراقية هي المعيار الرئيسي لتدوين الشعر واتخاد موضوعا للنقد الأكاديمي، بل قد نجد في الشعر الفصيح نصوصا أجازتها المؤسسة الثقافية بالرغم من بساطتها التي تصل حد السذاجة فيما رفضت نصوص الشعر العامي بالرغم من جمالية صورها وجدتها.

ويولي المتلقي العربي اهتماما كبيرا للشعر العامي الذي يمثل موروثه الثقافي،كالشعر الملحون في المغرب العربي، والشعر النبطي في الخليج العربي،وتعقد له المجالس الشعرية على مرأى ومسمع من علية القوم، بل ويحضرها أهم أقطاب الشعر الفصيح الذين يستقون من درر هذه النصوص.

أدب الطفل:

طالما اعتقد الدارسون أن أدب الطفل هو أدب من الدرجة الثانية إن كان أدبا أصلا،ذلك أن يقوم على جمال الأسلوب وجودة الصياغة وتعالي اللغة،ولم يعرف اهتمام بهذا الأدب إلا لتحقيق وظيفة أخلاقية لأبناء النبلاء عبر قصص هادفة تحكيها المربيات هذا في أوربا، أما في الهند وبلاد فارس فكان وسيلة تعليم أبناء الملوك والأمراء مختلف شؤون الحياة.

من هذا المنطلق ظن الكتاب أن كتابتهم للطفل هي نزول إلى مستوى أدنى في التفكير والتعبير أيضا متجاهلين سعة خياله التي قد تتجاوز سعة خيال الانسان الراشد.

لكل هذه الاعتبارات اتجه المقارنون إلى البحث في ميدان ظل مجهولا هو ميدان ثقافة الطفل،وأول دراسة أكاديمية كانت سنة 1932 في الكتاب الذي ألفه " بول هازار" (الكتب،الأطفال والرجال)[09].

إلا أن الأمر لم يتعد هذه الدراسة غلا بعد أكثر من ثلاثين سنة، حيث غدت ثقافة الطفل نقطة تقاطع العديد من العلوم الانسانية: السوسيولوجيا،علم النفس، الأدب المقارن، علم التاريخ التي طرحت سؤالا جوهريا مفاده هل يجب الحديث عن أدب الطفل أو الأدب الموجه للطفل؟.

وقد التفت الأدباء العرب مؤاخرا وبتأثير من الدراسات الغربية إلى ثقافة الطفل، و أخذوا يخوضون في هذا الميدان من خلال المسرح أو إعادة كتابة القصص الشعبي وكذلك عبر الشريط المرسوم وقصص الخيال العلمي في محاولة لاستيعاب سعة خيال الطفل وتحريك شهيته للبحث العلمي كما تفعل الدول المتقدمة الآن.

وهكذا لكل هذه الاسباب اعتبر أدب الطفل من أهم الأنواع الهامشية كونه يقوم على أنواع أخرى تنتمي إلى هذا الأدب .

الرواية الوردية: تظل الرواية الوردية تعيش على الهامش مع انها الأكثر غستهلاكا بين كل الكتب الأدبية في الغرب،وذلك منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى حد اليوم، فقد بينت إحصائيات المقروئية أن مؤسسة (Harlequin) التي تسيطر على تسعين بالمئة من سوق الكتب في فرنسا قد سوقت أكثر من 129 مليون نسخة من هذه الروايات سنة 1989 فقط[10].

وقد كتب في هذا النوع على سبيل الاختصاص لا التجريب الكثير من الأدباء أبرزهم: Rafael Perez في اسبانيا « Carolina Ivernizio » في ايطاليا « Florence Barclay » و Daily في المنطقة الانجلوسكسونية، وغيرهم.

إلا أن أغلب هؤلاء الكتاب كان ينشط في البداية تحت أسماء مستعارة قبل أن تتولى مجموعة من دور النشر المعروفة طبع هذه الكتب وتوزيعها بصفة متواترة.

وقد دخلت هذه الرواية الأدب العربي مثلها مثل الأدب الغربي ككل منذ القرن التاسع عشر عن طريق الترجمات التي كان يقوم بها الأدباء، لأن التوجيه كان في البداية إلى روايات التسلية والترفيه التي عملت الصحافة على نشرها مسلسلة وخاصة ما كان يحفل منها بعناصر المغامرة والحب التي ميزت الذوق الشعبي في ذلك الوقت، لهذا التفت المترجمون إلى الروايات الغرامية التي كثيرا ما خلت من أسماء مؤلفيها أو حتى مترجميها عند عرضها في المجلات[11].

وحتى وإن حملت مختلف الأنواع الروائية فيما بعد عناصر المغامرة أو الحب، فإن الرواية الوردية استمرت قائمة بذاتها تسجل أكبر رقم على مستوى المبيعات حتى في السوق العربية التي تصدى عدد كبير من كتابها للإبداع في هذا النوع الذي يصدر ضمن (روايات الجيب)، (الرواية الوردية) او أسماء فتيات كروايات (أحلام) و (ليلى) وغالبا ما يكون غلافها ورديا ولكنها تخلو ايضا من أسماء مبدعيها ومترجميها.

كما كان يسير مقابل هذا الاتجاه العاطفي إتجاه آخر هو رواية الجنس (Roman Pornographique) وقد عرفت في الأدب الغربي ب(X- Roman)، وعرفت ازدهارا مع فن السينما والفيديو ،وعرف الأدب العربي الحديث نماذج قليلة منها.

الرواية البوليسية: على الرغم من ان الرواية البوليسية اعتبرت من الآداب غير الجادة مدة طويلة من الزمن غلا أنها استقطبت شريحة كبيرة من القراء الذين اشترطت فيهم مواصفات خاصة، ابرزها الذكاء وسرعة البديهة والاهتمام بالتفاصيل الصغيرة من أجل السيطرة على هذا النص والوصول إلى حل مختلف الالغاز التي يقوم عليها.

ومع أن الدارسين يجمعون على أن هذا النوع من الكتابة هو وليد العصر الصناعي، إلا أن النصوص القديمة ذات الأشكال الملحمية أو المسرحية قد حملت الحس البوليسي من منطلق البحث عن المجرم الذي تبنى عليه هذه النصوص، مثلما هو الحال في مسرحية (أوديب) "لسوفوكليس" التي انطلقت من نواة مركزية هي ملاحظة قاتل " لايوس" ثم انفتحت على بقية الاحداث عبر عنصر التشويق القائم على الإلغاز الذي طغى على كل المسرحية[12].

وقد أشار " فولفغانغ كايزار" في حديثه عن تغير الأنواع الأدبية إلى وجود أشكال أدبية صغيرة تطورت مع الزمن ومع تقدم الدراسات، لتغدو نوعا من الأنواع الأدبية المعروفة،ومن ذلك اللغز الذي انحدرت من رحمه القصة البوليسية، واكتسبت خصائصه المتنوعة [13]، ثم استقلت بشكلها وأسلوبها لكنها حافظت على اسلوب الإلغاز الذي يعتبر أساسا في بناء أحداثها.

وقد ولج النص البوليسي الأدب العربي في بدايات الحرب العالمية الثانية، وذلك عبر روايات غربية ترجمت ونشرت في المجلات المتنوعة التي كانت تملؤها النزاعات السياسية التي قامت بين الأحزاب، فصار الأمر يتطلب مادة صحفية جديدة تمثلت في الروايات المتسلسلة و أبرزها الرواية البوليسية، وقد اشتد الاهتمام وازداد طلب الجمهور على روايات المغامرات العاطفية والمغامرات البوليسية في القرن العشرين، فانبرى الكتاب يترجمون لابرز الروائيين وعلى رأسهم كونان دويل[14].

رواية الخيال العلمي:

" **يشير مصطلح الخيال العلمي إلى المحكيات الروائية أو القصصية التي تتجلى فيها الافتراضات العلمية والتقنية من خلال البنية السردية، تتمحور حول حدث يقع عموما خارج عالمنا المكاني أو ألزماني**"[15].

ويورد الدكتور نبيل راغب قائلا:" **الخيال العلمي يتناول المخترعات العلمية والاكتشافات التكنولوجية التي توصل إليها الإنسان ثم ليعدها إلى اختراعات واكتشافات لم تظهر – هي افتراضية بلفظة الموجة الجديدة- ثم**

يترجمها إلى قضايا إنسانية ومغامرات درامية وإيقاعات فلسفية تجعلها تتموقع في زمن كتابها لتشكل مشـــهدا مـــن الأدب المعاصر لتأخذ مكانها في تاريخ الأدب عموما"[16].

مفهوم النقد الهامشي – الادب الهامشـــي-: إن نصوص الأدب الهامشي الموازي مع اختلاف غاياتها و أساليب كتابها، إلا أنها لا تنفك تجتمع في خصائص النص الأدبي من لغة وشكل ومضمون وفنية تصنع روح العمل وتشكل قمة الابداع فيه، لذلك فكل عمليةنقدية لنصوص هذا النوع من الأدب من المنطقي أن تسمى بما يناسب من تسمية هذا الجنس، فيطلق على العملية النقدية التي تتم من خلالها مقاربة محتويات هذه النصوص والنظر فيها، بالوقوف على عناصر المشكلة لها بالنقد,

فنقد الادب الهامشي هو تلك الممارسة الفنية والعملية التي تجمع الى جانب الكشف عن الجمالية في النصـــوص تحصيل المنهج العلمي الصحيح أثناء النظر في مضامين أجناس الأدب الهامشي، إذ لا يختلف عن اي ممارســـة نقديـــة أخرى في باقي الأجناس الأدبية الأخرى، فهي تعتمد أداة الذوق و النظر في اللغة و البحث عن الجمالية والانتهاء الى اعادة بناء نص مغاير للنص المنقود في بناه اللغوية التي تشكل أحكام هذا النص عبر قيامه بسلسلة من العمليات تتبنـــي بالتفسير وتتدرج حتى تنتهي الى التأويل ومن ثم نحو بعد تداولي للنص، غير أن تحول النص نحو البعد التداولي لـــيس بالعملية العشوائية ولا الاستقصائية غير المنظمة للرؤى المختلفة لجمهور المتلقين و القراء، فالعملية النقدية كفيلة عبـــر الممارسة المختلفة بتوجيه رؤى القراء نحو المنهج السليم الذي يعضد هذه الرؤى ويدلل على صحة مراميها لذلك كان النص الادبي في حاجة ماسة الى ممارسة نقدية تقوم بتفسيره أولا، وتقومه ثانيا في عملية و احترافية لا تفقـــد الـــنص جوهره الذي وضعه المنتج ولا خصوصياته التي صنعها جمهور القراء، وليست نصوص الأدب الهامشي بمعزل عـــن هذا الاجراء النمطي الذي يميز سائر النصوص الادبية المختلفة أي في مختلف أجناسها.

4- دراسة في أدب الخيال العلمي : تكمن أهمية الخيال العلمي في توسيع القاعدة العلمية وجـــدب المـــواطن العـــادي للاستمتاع بالعلم واتخاذه أسلوبا في الحياة، وفتح نافذة على التقدم التكنولوجي في العالم بالإضافة إلى العـــاملين العقلـــي والخيالي الذي إذا حاولنا فصلهما فستحول أعمال هؤلاء الكتاب إلى أعمال عاقرة غير مثمرة، إذن هده الكتابات تحاكي واقعها وتجبر القارئ على المشاركة في عملية التأليف من خلال اندماج عاطفته وفكره معها.

فما هي ياترى وظائف أدب الخيال العلمي؟

هناك ثلاث وظائف رئيسية للخيال العلمي كما حددها لنا محمد العبد وهي كالآتي[17]

1-**الوظيفة الدعائية:** وهي متصلة بجميع الأعمال الأدبية التي تدعو بطرق مختلفة إلى الإفادة بمنجزات العلم النافعـــة وإلى ضرورة وضع إمكانيات العلم في خدمة البشرية ورفاهيتها، وتتصل الوظيفة الدعائية لمواكبة أحداث الاكتشافات العلمية.

2-**الوظيفة الإنقاذية:** وهي تدور حول جميع الوسائل التي تتخذها أشكال التعبير في الخيال العلمي لبناء موقف مضـــاد ورفض لما تأتي به بعض الاكتشافات العلمية من مخاطر وأضرار على البشرية، في هذه الوظيفة تسعى أدبيات الخيال العلمي إلى ترويض العقل الهمجي وكبح جماح قاطرة العلم الذي يهدد بسلطته على أمن العالم.

3-**الوظيفة التنبؤية:** وهي تنطلق من التسليم بأن إمكانيات العلم النافع لا تنتهي ولا يمكن لها أن تكف أو تعجـــز عـــن صناعة مجتمع الرفاهية، في هده الوظيفة يطلق أدب الخيال العلمي العنان لخيالهم للتنبؤ بشئ من الاكتشافات الجديـــدة التي تحلم بها البشرية، ولعل الوظيفة التنبؤية هي الأوفر حظا في سرديات الخيال العلمي بعامة، وقد جعلـــت للخيـــال العلمي فرعا معروفا باسم أدب المستقبل.

فلماذا هذا التجاهل إن صح التعبير من طرف المؤسسة الرسمية؟. وضعت المؤسسة الرسمية مقاييس تقوم من خلالها بتقييم أي عمل أدبي راق كاللغة المتعالية التي تسعى إلى التضليل والمراوغة، والمتلقي يكون مثقف وليس ساذجا، فاللغة هنا من أهم المعايير التي تميز من خلالها الأدب الرفيع من غيره وتهتم في أعمالها بالقيم الإنسانية الخالدة ، فرفض – أدب الخيال العلمي– من طرف المؤسسات راجع إلى أنها تقوم بإخضاع هذه الآداب – الهامشية– كمعايير الأدب الرسمي خاصة من حيث اللغة التي تعد من أهم الوسائل التي تقاس بها الوظيفة الجمالية.

"**فالنقاد يعتقدون أن موضوعات العلم تحد من قدرة الكاتب لحد العجز على توسيع مجال الموضوعات التي يرغب** في طرقها، **ويجد نفسه في قبضة أسئلة لا يجد لنفسه بدا من محالة الإجابة عنها، وهي أسئلة تتعلق بقضية العلاقة بين الأدب كوسيلة للتسلية وإزجاء الفراغ أو كقوة محفزة على التفكير النقدي الخلاق وبين الأدب كوسيلة تثقيف وتعليم،زد على ذلك اعتقادهم بأن أدب الخيال العلمي يرتبط في الأذهان بالأسلوب المبتذل للكتابات التي كان يعتريها الضعف والركاكة وقلة العناية بدقة الأداء والتي لا تستثير اهتمام النقاد من دوي الذوق المدرب وأطلق عليها اسم الروايات الشعبية الرخيصة، صحيح أن الأدب الهامشي** يقدم المعرفة على حساب الشكل فالوظيفة الجمالية هو العلم ، بالإضافة لارتباطه بمشاكل الطبقة الاجتماعية البسيطة،ورغم هذا فإنه لا يسلبه دوره في نشر الثقافة وحتى النصوص الأدبية لا تخلو من جمالية ربما تكون أحسن من الآداب الرسمية، حتى أنها هذه النصوص لا تخلو من خلفيات اديولوجية، وهناك من نقاد أمثال سباستين مرسييه وفلكس بودان عزم هؤلاء على هجر المفهوم التقليدي ذي النزعة الإنسانية لدور الأدب في الحفاظ على كبت التراث المكتنزة بالفوائد، إن نوعا جديدا من القص بوسعه تغيير العالم بأن ينفث في صدر القراء الأمل في تحقيق طموحاتهم في مستقبل يترامى أمامهم فسيحا باهرا[18].

ينطلق أدب الخيال العلمي من فرضية أدبية خيالية يطورها إلى فرضية علمية تتماشى مع معايير أي عصر ومعاييره الخاصة، بالتأكيد على أنها معايير فريدة قابلة للتغير خاضعة لنظرة معرفية يقول مونتني: "**إن الثبات نفسه إلا لونا من الفتور**"[19]، ولعل أجمل مظاهر فعاليته وحيوته هو قدرته على بناء وتصوير العلم في صورة جنس أدبي يقوم على الأسرار والألغاز، أضف إلى ذلك لا يمكن تصور عالم أدب الخيال العلمي خارج نطاق الآلات والصناعات التي تنتجها ، فهو أدب العصر الصناعي حيث استطاع العلم خلال القرون القليلة المتأخرة أن ينجز الكثير من أجل تطور البشرية، وتنبأ بتحقيق اكتشافات مذهلة فبالحلم البسيط وبالحلم المدروس والتجريب مرة أخرى وضع الإنسان يده على سر الكون مما سهل له إمكانية إمساك الكون بقبضة من حديد.

وتعد روايات الخيال العلمي ميدانا جديدا يثبت لنا فيه هده المعجزة ويؤكد أن العقل الإنساني قادر ولو تخيلا على إعادة تشكيل العالم بوسائل التقنية الحديثة التي لا حد لها.

- **فما هو إذن مستقبل هذا النوع الأدبي الجديد ؟.**

تتزايد أهمية الخيال العلمي في عصرنا فثمة دلالات قوية على أن درجة رواجه قد ارتفعت ارتفاعا كبيرا في الأمم الصناعية الكبرى (الولايات المتحدة، واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، اليابان) خلال المائة سنة الأخيرة وكذلك تأثير هذا الأدب في طبقات رئيسية للمجتمع المعاصر مثل خرجي الجامعات، والكتاب الشباب، وطلائع جمهور القارئين المتذوقين لمجموعة جديدة من القيم بالإضافة إلى تحول الذوق الأدبي فأصبح أيضا يعبر فيها عن المعتقدات الدينية والفلسفية والسياسية ، وتشير الإحصاءات القراءة في الأدب الغربي أن منتج الخيال العلمي في الرواية يمثل نسبة كبيرة من الكم الإجمالي للرواية،يمكن بالتالي أن نستنتج غلبة أشكال روائية جديدة ، وقلة المنتوج المعروض من الروايات الإنسانية الذي يسعى إلى أعماق النفس البشرية والعلاقات الإنسانية بين الفرد والجماعة، إذن هدا الاتساع والانتشار في العالم أصبح يفرض نفسه على النماذج الأدبية، وهو يعتمد العلم محورا فعالا في أحداثه وأبطاله ويلجأ بعض الكتاب المتميزين في فن القصة والرواية إلى الاستعانة بالعلماء لكتابة قصة أو رواية في الأدب العلمي حتى لا

يساء إلى هذا الأدب وحتى يتميز العمل الأدبي بمنطقيته العلمية الضرورية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لقد سهلت وسائل الإعلام كالتلفزيون والسينما من رواج هذا الأدب فالسينما تعتبر في لغة العلم من أهم وسائل الإيضاح والتقريب ولعل التطور الذي أصاب الصناعة السينمائية في السنوات الأخيرة، ساهم إلى حد بعيد من إنتاج أفلام علمية ممتعة تنقل المتفرج إلى أحداث الماضي الغابر والحاضر،وآفاق المستقبل وفي رأينا ستكون السينما أكبر مرشدة للعلم في المستقبل، حيث تفيد في إغناء الأرشيف الخاص بالأفلام الروائية العلمية التي ساهمت إلى حد كبير في تنمية روح الخيال العلمي والبحث في أمور لم يتوصل العلم لفك طلاسمها،والفيلم يعتمد على لغة السرد والإثارة، والوضوح في طرح الرؤى العلمية ويحاول الوصول بأفكاره إلى المتفرج ببساطة دون تعقيد فتنافس شركات إنتاج المسلسلات والأفلام تشد الناس إلى المستقبل، فينتقلون بأحلامهم إلى عوالم غامضة مجهولة في حكايات قد تبدوا خرافية، وقد نشطت فعالية الخيال العلمي حتى الصحافة إذ تنافس الكتاب في نشر القصص والروايات المسلسلة في مجلات متخصصة أصبحت من أهم الوسائل لإذاعة أدب الخيال العلمي فتناول السينما لأدب الخيال العلمي كان له دور في انتشاره،فلم يكتفي المشاهدون بمشاهدة الأفلام ،والقراء لم يكتفوا بالشراء فقط بل أطلقوا مواقع على الانترنت لمناقشة وتبادل الكتب وتحولوا لنقاد يقيمون هده الأعمال حيث تمخضت عن هده التطورات من ظهور مجتمع نقدي أثرى هذا الأدب الخيال العلمي من خلال تبادل وجهات النظر بين المجتمع الواحد "**كما توجه الخيال مؤخرا إلى الأطفال إذ تخصص بعض الكتاب بكتابة أدب الخيال العلمي الموجه للطفل،وقصة الخيال العلمي قد تكون البديل الحقيقي لكل هدا الركام المطروح على الطفل بطريقة فجة لإدخال العلم بقوالب جامدة إلى رأسه الذي لا يتقبل حشر المعلومات العلمية مما قد يؤدي إلى انصرافه عن العلم أو عدم الاهتمام به، والعلم كما هو معروف هو لغة العصر والدور لأية أمة من الأمم لا يكون إلا بالعلم وإبداعاته في مختلف جوانب الحياة**"[20] ،ففي الخيال العلمي يستطيع طالب العلم أن يجد الحلول المناسبة انطلاقا من خيال خصب طليق يتمكن من تطويع الواقع وتحدي الممكن وتجاوزه بما يفتح أبوابا ويهيأ قدرات لم تكن في الحسبان لاشك يأتي بنتائج مدهشة وقصص الخيال العلمي تساعد على صقل المعرفة وتزويد القارئ بكثير من المعلومات، هذه هي آفاق أدب الخيال العلمي فهل من مزيد؟ يقول الكاتب الأمريكي ألفين توفلر Alvine tofler" **إن قراءة الخيال العلمي أمر لازم للمستقبل**[22]، فأهمية أدب الخيال العلمي في الدول المتقدمة جعلته يتخذ منحى آخر فقد أصدرت جريدة الوحدة السورية مقالا بعنوان آفاق أدب الخيال العلمي والأبعاد السياسية حيث تقول مها مؤيد"....

وقد تصاعد حمى وسخونة هده الأعمال الأدبية والفنية مع تصاعد الحرب الباردة وحملت في دلالاتها دلك الخوف من المعسكر الآخر الذي يسكن على نفس الأرض متحصنا خلف الستار الحديدي كانت هواجس الأمريكي السياسي من الغزو السوفيتي(...) ومن التهديد النووي،وكالعادة أمريكا بما لديها من وسائل الدعاية والإبهار تزيد من حدة هده المخاوف (...) وحرب العراق أكبر شاهد على دورها هذا وحتى بالنسبة للمعسكر الشرقي فقد عانى من ذلك الأمر وامتلأت الأدبيات بقصص مصاصي الدماء كتابة عن الرأسماليين الدين يمصون دماء البسطاء،وامتدت المخاوف إلى اليابان فامتلأت أدبياتها وأفلامها بالوحوش العملاقة والديناصورات القادمة من قلب التاريخ بعد أن أيقظتها الإشعاعات الدرية وجعلتها أكثر توحشا، ولقد حاول الكثير من الكتاب والفنانين التصدي لهذه الحمى...."[23] ، والملاحظ في هدا المقال تناولت المؤلفة الدور المهم الذي لعبه ومازال يلعبه أدب الخيال العلمي ليس فقط في التنبؤات والانجازات العلمية، وحتى السياسة فأصبح وحسب رأينا أي أدب الخيال العلمي وكأنه بمثابة محلل سياسي عما وقع وسيقع في المستقبل من معارك ،وهذا ما يثبت فعلا أهمية هذا الأدب فهي نصوص بمثابة ألغام تنتظر الانفجار في أي لحظة فأغلب هذه الروايات –وإن كنت هنا أبالغ– أنها روايات مطعمة بمعطيات ثقافية وسياسية مما يسمح لها ويرشحها لدخول سباق مع الباحثين والعلماء وذلك لاهتمام هذا الأدب – الخيال العلمي– بقضايا المجتمع وإن عظمت، وهذا أيضا

ما يفسح لها آفاق لا متناهية ،ويقول رائد الخيال العلمي البريطاني آثر سي كلارك "**إن القراءة النقدية لأدب الخيال العلمي هي بمثابة تدريب أساسي لمن يتطلع إلى الأمام أكثر من عشر سنوات**"[24]

وهنا نتساءل أيضا ما هي آفاق أدب الخيال العلمي والأبعاد النفسية؟ آو ألا يمكن استخدام مثلا الخيال العلمي أداة في العلاج النفسي؟.

لان الخيال العلمي وسيط ناجح لاكتشاف الذات واختيارنا لعلم النفس لأنه من احدث العلوم وأكثرها قربا من الأدب،وفي رأينا الشخصي يتعذر الفصل بين علم النفس والأدب فهي تعد أكثر الميادين غموضا وتشويقا أو على النقيض أكثرها رهبة، وتبقى الكتابة دوما هي القناة المحورية لنقل هذا الزخم من الأفكار قصد بث الوعي العلمي وتنبيه المجتمع لحقيقة ما ينتظره في المستقبل القريب أو البعيد.

فلهذا الأدب – الخيال العلمي– مستقبل حيث كانت الوسائل – السينما، التلفزيون، الصحافة، الإنترنيت– من الوسائل الهامة في ازدهاره بالإضافة إلى مجلات ودوريات ولقاءات وندوات تهتم بالخيال العلمي، ويختص ذلك " دعم مادي ومعنوي،طبع ونشر...الخ"، إنه جزء من البحث العلمي الذي يحفز الإنتاج والمنتجين هذا هو مستقبل – أدب الخيال العلمي– في العالم الغربي فكيف هو الوضع الآن على الصعيد العربي؟

هناك العديد من الكتاب المعاصرين في مجال الخيال العلمي أذكر منهم نهاد شريف وهو احد أهم رواد الخيال العلمي في العالم العربي، ومن المغرب أحمد عبد السلام...الخ، ولكن يمكن القول أن الأداء العربي في مجال الخيال العلمي مازال أداء متواضعا رغم أن الكتاب الذين ذكرتهم وصلوا إلى مكانة متقدمة بالنسبة للآخرين الذين يجربون الكتابة، فمازال هذا الأدب في مراحله الأولى والكم المنتج منه محدود، ولا يمثل أية مشكلة بل ندعو إلى الخوض فيه للأخذ من ميزاته التي تعد مزيج من الانفراج الخيالي والمزج بين الحقائق العلمية والحياة اليومية المتخيلة، ولكن هذا التشاؤم حول مستقبل الخيال العلمي يعتمد على الواقع الملموس يقول نهاد شريف: "**إننا إذا تناولنا أدبنا العربي الحديث فإننا نشهد رواجا لأنواع شتى من القصص البوليسية والفلسفية والتاريخية والاجتماعية التقليدية وحتى القصص الرمزية مما يجيده كتابنا وتعرضه الآداب العالمية دون أن نرى اهتمام أولئك الكتاب – فيما عدا الندرة– بهذا النوع الحديث من الأدب،بينما يعرض عنه الناشئون العرب وتتهرب منه وسائل الإعلام الأهلية والحكومية**"[25]، ولكن رغم هذا هناك بصيص من التفاؤل لهذا الأدب حيث يقول محمد نجيب التلاوي " **على الرغم من التهديد بموت الخيال العلمي إلا أنني أتوقع أن مطلع القرن القادم سيشهد نهضة أدب الخيال العلمي...**"[26]، وهذا التفاؤل ناجم عن تقنيات الاتصال المتطورة التي ربطت شبابنا بثقافة العالم،وانتشار شبكة الإنترنيت،وهذه الاختراعات ستحرك خيال المبدعين في استشراف المستقبل القريب.

يوصف الخيال العلمي بأنه الصورة المقروءة للأفكار فهل سيتربع عرش الرواية في المستقبل ويصبح أدب القرن الواحد والعشرون؟.

قد وجد هذا النوع من الأدب طريقة إلى قلوب القراء، ولقد عده بعض النقاد المتخصصين بأنه أدب من حكايات الغد،ولكن ماهو مستقبل هذا الأدب في ظل ما بعد الحداثة؟.

مقولة الحداثة مقولة فضفاضة،وسؤال ما بعد الحداثة بدأ مع وعي الإنسان وتطور بتطوره،ماذا بعد الحياة؟ بعد الشباب؟ بعد الليل؟ وقاد هذا السؤال الوعي الإنساني إلى فكرة الجدل، ولكن السؤال ما لبث أن دوي من جديد ماذا بعد الحداثة؟، وكان الجواب يمثل صدى السؤال نفسه، وهو ماذا بعد الحداثة؟.

"..**إن انتشار العلم في الحياة البشرية يعد من الخصائص المكونة لما بعد الحداثي، فالتكنولوجيا صديق حميم شديد المباطنة عظيم الهيمنة تماما ليس من خارجنا، وإنما من تحت جلد بشريتنا، منذ برومتيوس وحتى اليوم وغدا، فحقبة الإنتاج والاستهلاك الفاوستي والبروميثي وربما الأدبي تحل محلها حقبة من الشبكات، حقبة نرجسية بالغة**

التنوع، وتتسم بكثرة الاتصالات والتداخل الذي يقترن بعالم الاتصالات فيصبح الكون الذي يحيط بنا بأكمله بمثابة شاشة تحكم، اعتبرت ما بعد الحداثة بصفتها – تعبيرا ثقافيا- مفهوم يشير إلى ردود الأفعال الإبداعية حيال هذا التحول التاريخي،حيث تشير ضمنا إلى مجموعة واسعة من تجارب جمالية وشكلية ومضمونية عبر عنها من خلال مجموعة كبيرة من المنتجات الثقافية من بينها العمارة، الرقص، النحت وبالطبع الرواية، حيث يقول جوناثان بنسيون benisonما بعد الحداثي في حد ذاته ... عبارة عن ظرف اجتماعي يتميز بتحول في تلقي الثقافة، فرواية ما بعد الحداثة واعية كتبت بأسلوب الخيال العلمي نوعا من التعليق على جوانب واقعنا المعاصر، كتبت الرواية بلهجة مصممة بعناية بحيث لم تسمح بأن ينسى القراء مطلقا أنهم يفكون شفرة نص روائي، أما ليوتار Lyotard يقصد بما بعد الحداثي هو أن نفقد إيماننا بالسرديات العظمى التي قدمت التوجه وأضفت الشرعية على التطور الغربي منذ عصر التنوير، وتضم هذه السرديات الكبرى الدين، التاريخ، التقدم، العلم فكتاب الحقبة ما بعد الحداثة يشككون في القواعد التي قبلها أسلافهم ببساطة، حيث يبدعون أعمالا من الخيال العلمي هو أيضا عن الخيال العلمي، فمصطلح الخيال العلمي كما يراها Csicsery Ronay لا يشير الآن إلى نوع أدبي فحسب بل أيضا إلى نمط من الوصف والتحليل الثقافي حيث أصبح الخيال العلمي جانيا من الوعي اليومي لناس يعيشون في عالم ما بعد صناعي شهود يوميين على تحولات قيمهم وظروفهم المادية عشية تسارع تكنولوجي يتجاوز أقصى تصوراتهم، ولعل هذه الحالة ما بعد الحداثة للخيال العلمي نفسه، والتي تشير إلى أسئلة مثيرة للاهتمام بشأن الوظيفة الثقافية المستمرة لهذا النوع الأدبي السردي المستقبلي، وتوصل بعض النقاد إلى أننا لن نجد التعبير الجوهري أو النهائي عن ما بعد الحداثي التكنولوجي مطبوعا في روايات الخيال العلمي على الإطلاق بل في الآثار المدهشة لأفلام الخيال العلمي"[27]

إذن يقدم "**الخيال العلمي بدائل مريحة عن عالم الواقع، يجد قارئ الخيال العلمي مثل أي مدمن للمخدرات تبريرات ملحة لعادته، الخيال العلمي يعلمه العلم، الخيال العلمي يساعده على تفادي –الصدمة المستقبلية- الخيال العلمي يغير العالم إلى الأفضل هذا صحيح وهو نفس ما يفعله الكوكايين، وهذا ما يقوله كيسل فمستقبل الخيال العلمي في ظل ما بعد الحداثة تجسد لنا تقنيات السفر والاتصال عالية بسرعة، والعلاقات الافتراضية التي يعمل فيها الحاسب....الخ"[28]،فهل لهذا المستقبل من نهاية؟.**

الخيال العلمي هو محصلة الخيال البشري في ضوء ما تتيحه الإمكانيات العلمية واحتمالات تطورها يتناول جميع الحقائق التي يقدمها العلم ثم يضيف إليها الخيال،فهو ضوء الكاشف للعلم، وكما ألهب الخيال العلمي عقول العلماء ألهب كذلك التقدم المذهل للعلم في النصف الثاني من القرن العشرين بدوره خيال الأدباء حتى ليتمكن القول أن هناك تفاعلا بينهما، وهكذا أصبح لدى أدباء الخيال العلمي ثروة علمية يرتكزون عليها وينطلقون منها إلى آفاق أرحب ، فهذا الأدب يجعل الإنسان أكثر إدراكا لوضعه الصحيح في المكان والزمان، ويجعلنا نحن كقراء نقتحم هذا العلم كما يقتحم الشاطر حسن المكان المرصود بحثا عن الكنز، وكما يطالب أدب الخيال العلمي القارئ والناقد والمؤلف ألا يكون الواحد منهم مجرد متخصص وله معرفة علمية، بل أن يكون أيضا ذا خيال تشهد حكمته بنضوج فكره النقدي والإبداعي.

فهذه الروايات تترجم المكتشفات والمخترعات والتطورات التكنولوجية التي على وشك الظهور أو التي لم تظهر بعد إلى مشكلات إنسانية فهو يلعب دور المنذر إزاء المستقبل البشري، وكأنه الراعي الحكيم – ترزياس- الذي تنبآ وهو أعمى بما ينتظر مملكة أوديب من خراب ولعنة أصابت المملكة، واختراق الحدود دون تفكير وهذا ما فعله بنا التقدم العلمي فينبهنا في معظم الأعمال الأدبية إلى أنه علينا أن ننظر إلى الحاضر دون فصله عن الماضي للوصول إلى المستقبل، ورغم أن الكتابات تجمع ما بين دفتيها التحذير والإنذار إلا أننا نكتشف فيها روح الأمل لدلك فإن أدب الخيال العلمي ليس تشاؤمي خالص ولا هو بالمتفائل تفاؤلا ساذجا ، إنه يتعامل مع التجارب العلمية تعامله مع قضايا الحياة

اليومية،فيخدش أسرار حياء العلم ومكتشفاته ليقدمه لنا جاهزا، وهو في فضحه لهده الأسرار وعرضه لنا لتحليلها واتخاذ موقف اتجاهها وإنما يسعى لأن يثير فينا استشعار الخطر الذي يهدد عالمنا، بهدف الدفاع عن مستقبل الإنسان ودفاعا عن مصيره قبل أن يفوت الأوان .

4-دور الدراسات النقدية في مثل هذه الأنواع الأدبية الجديدة:

لعل خضوع العمل الأدبي إلى القراءة ودخوله ميدان النقد،يجعله يكسر أول حاجز له في مواجهة المؤسسة الرسمية وليس المؤسسة القرائية، لأن النقد يفسح المجال لوصول العمل إلى القراء المختصين الذين يحاورن النص انطلاقا من أبعاد مختلفة تتجاوز لحظات المتعة أو التسلية ،ليغدو حاملا لأفكار مبتكرة على مستوى النوع أو المحتوى مما يجعله قاعدة لنصوص أخرى تأتي بعده،والسؤال الذي يفرض نفسه بشدة هنا: هل شهرة النص الأدبي هي طريق مروره إلى الأدب الرسمي؟.

ربما أسهم انتشار العمل الأدبي في دخوله المؤسسة الثقافية من أوسع أبوابها، لكن هذا ليس شرطا أساسيا،إذ انتشار الأعمال الإستهلاكية دليل على ذلك،فقد أثبتت الدراسات الميدانية أنها توزع بدرجة تفوق بكثير الأعمال الأدبية المتعالية، وهذا ما أكده Robert Escarpit روبارت إسكاربيت في سبر لآراء قام به في فرنسا، ذلك أن معظم المكتبات موجهة لفئة النخبة من برجوازية مثقفة أو مختصين في الأدب أو الفن ، وهو ما يجعل عدد القراء بثلاثة ملايين قارئ في حين تقدر المجموعة الفعلية القارئة بثلاثين مليون قارئ [29].

فالعدد الكبير من قراء الأدب الهامشي يوضح بما لايدع للشك أن هذه الشهرة لم تستطع أن تمر بالرواية البوليسية مثلا أو رواية الخيال العلمي إلى الأدب الرسمي، لأن الشهرة يجب أن يرافقها التفسير ومن ثم دخول المقررات الدراسية.

فعندما يخضع النص للتحليل والدراسة فهو اعتراف ضمني بولوجه عالم الأدب الراقي،هذا بعد أن ينسب إلى مؤلف يعتد به، ويعتبر نص (ألف ليلة وليلة) خير مثال على ذلك،إذ على الرغم من تعامل معظم الأدباء العالميين معه من خلال الاقتباس أو التناص، إلا أنه لم يرق إلى مستوى الأعمال الأدبية المجازة من قبل المؤسسة الثقافية مما يجعل القارئ يتساءل: لماذا تعتمد النصوص المبنية على أشلاء كتاب الليالي فيما يقابل الكتاب نفسه بالتهميش والإنكار؟ يقول عبد الفتاح كليطوا " لعل انعدام التفسير يشكل مقياسا كافيا لتعريف اللا نص، فألف ليلة وليلة لم تفسر لأنها من وجهة نظر الثقافة الكلاسكية لم تكن تعتبر نصا، كان ينقصها التنظيم الداخلي الذي يحدد النص، ومن بين العوامل المحددة للنص غموض الدلالة، وكذلك نسبة القول إلى مؤلف معترف بقيمته"[30].

هذه الشروط التي تحدد مرور النصوص إلى مصاف الأعمال الراقية، تضع التوزيع جانبا لأنها تهتم بآراء القراء المختصين (النقاد) دون بقية الجمهور، وهؤلاء مازالوا يعتبرون الأدب لغة رفيعة ودلالة غامضة قبل كل شيء،وهو مالا يتوفر في الأعمال المهمشة االتي تعتمد لغة بسيطة ومعنى واضحا من أجل الاستحواذ على أكبر شريحة متلقية،لكن بناء أحداثها يقوم على جماليات أخرى كالتشويق و الإثارة التي لا تعترف المؤسسة الرسمية بها.

ورغم هذه الفوائد التي يحملها هدا الأدب إلا أن نسبة القراءة في العالم العربي تبقى نسبته محدودة، ولا تحمل وزنا كما يراها القارئ الغربي،فالسؤال الذي يراودني هو كيف يمكن استقطاب القارئ العربي إلى هذا الأدب؟.

يمكننا استقطاب القارئ العربي بما يلي:

1-ترجمة هذه الأعمال أولا بأول، ليستطيع القارئ أن يستوعب معطيات هذا الأدب وقيمته في استشراف المستقبل.

2-تدريس أدب الخيال العلمي في المناهج الدراسية وخاصة في الجامعات.

3-تشجيع الطلاب والقراء على التفكير فيما سيكون عليه المستقبل خلال الأعوام القادمة.

5-وضع بعض المسابقات الثقافية في المدارس والجامعات، لتشجيع كتابة أدب الخيال العلمي سواء في القصة أو الرواية أو المقالة.

ولاشك أن هناك طرق يمكن بها تنمية الخيال العلمي لدى أدبائنا، ويمكن أن تشمل مايلي:

أ- تشجيع الأدباء على التفكير والكتابة الإبداعية في خضم أحداث المجتمع المعاصر والمتقدم.

ب- حث الأدباء على القراءة في آداب اللغات الأخرى وخاصة الأدب الغربي في مجال الخيال العلمي .

ت- عمل بعض المسابقات والحوافز المادية لتشجيع كتابة أدب الخيال العلمي في جميع المجالات.

وختاما نقول : إن تنمية أدب الخيال العلمي مرتبط دائما بعوامل حركة المجتمع وتطوره عبر الزمن، ولا شك أن هده العوامل سوف تدفع بالأدباء والمفكرين إلى مزاولة الأدب والفكر الذي يعبر عن توقعاتهم لما سيكون عليه المستقبل، وما أجمل قول الروائي والأديب نهاد شريف وهو رائد أدب الخيال العلمي في العالم العربي حيث يقول:

"**إن أدب الخيال العلمي الذي يمثل اليوم صيحة الحديث وقمة الطموح الحضاري ،يجمع النقاد ودوي الرأي على أنه سيكون الأدب الأكثر ذيوعا وانتشارا وشعبية في المستقبل القريب،بل وربما كتبت له السيادة على سائر ما يقدم من آداب بدءا من القرن الحادي والعشرين وحبذا لو – أمكننا بوسيلة أو بأخرى- أرضاع صغارنا جرعات الخيال العلمي مع إرضاعهم وجبات اللبن الدافئة الشهية**[31]

البيبلوغرافيا:

1:La Paralittèrature.que sais-je .Alain Michel Boyer press universitaires de France.paris.1 ere Ed .1992.Page 18-19.

: 2Bernard Mouralis.les contre littèratures page :60

3: عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابة: دراسات بنوية في الأدب العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1997، ص: 38-39,

4: Daniel Fondanèche.paralittèratures،Editions Vuibert. Paris France. 2005. N1. Page. 17

5:Andrè Peyronie .littèrature et paralittèrature in S ;f ;L ;G,C,la recherche en littèrature gènèrale et composèe en France.Aspects et problemes. Paris.1983.page. 220

6:Daniel Fondanèche . paralittèratures Page 13-14.

7: طه وادي: الرواية السياسية ، دار النشر للجامعات المصرية القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص: 192,

8،: أنظر رنيه ويليك وأوستن وارين نظرية الأدب ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان،ط:3، 1987،ص: 237,

9:Robert Escarpit. Sociologie de la littèrature. Que sais-je. Edition Dahleb.N 8.1992.Page 79

10:Alain Micher Boyer.la paralittèrature.Page 105

11:عبد المحسن طه بدر تطور الرواية العربية مصر، دار المعارف، القاهرة مصر،دط،دت، ص:166.

Andrè Peyronie.Roman Policier in S.F.L.G.C Page.197:12

13:أنظر فولفغانغ كايزر، العمل الفني: مدخل إلى علم الأدب، ترجمة أبو العيد دودو، ج2 دار الحكمة، الجزائر،دط، سنة 2000،ص:530-531.

14: عبد المحسن طه بدر تطور الرواية العربية، ص: 130.

15: Le dictionnaire du littèraire. Sous la direction de paul arom demis saint-jacques alain viala.presses universitaires de France (PUF).2002.paris.p=56.

16: نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان،ط1، 1997، ص: 364

17: محمد العبد: الخيال العلمي إستراتجية سردية ،مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد71، 2007، ص-ص:30-31.

18: ايستفان سيسري، روناي مونير، أدب الخيال العلمي والاتجاهات النقدية، ترجمة، أحمد هلال يس، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد71، صيف خريف 2007، ص-ص:107-111.

19: روبرت سكرنروا وآخرون: آفاق أدب الخيال العلمي ترجمة حسن حسين شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر (د،ط) 1996،ص: 144.

20: عبد الرؤوف ابة السعد، الخيال العام بين الخيال العلمي الأولي والخيال الأدبي وتأسيسه لثقافة طفل واعد،مكتبة نانسي دمياط مصر،(د،ط)،2004 ص:170

21:Isabelle. Nierès. Cultures d'enfance in S.F.L.G.C en littérature gènèrale et comparèe. P. 181

22: روبرت سكرنروا وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمي، ص:107.

23: مها مؤيد: آفاق أدب الخيال العلمي والأبعاد السياسية، جريدة الوحدة قسم عالم الأدبhttp://alwehda.gov.sy

24: روبرت سكرنروا واخرون افاق ادب الخيال العلمي ص 107.

25: محمد أحمد مصطفى، أدب الخيال العلمي العربي:الراهن والمستقبل، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب،العدد71،صيف خريف2007ص:88.

26:م ن، ص ن.

27: فيرونيكا هولنجر، الخيال العلمي وما بعد الحداثة، ترجمة، علاء الدين محمود، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، العدد71،2007، ص -ص:132-145.

28:المرجع نفسه، ص: 134.

29: Robert Escarpit. Sociologie de la littèrature. Que sais-je. Edition Dahleb.N 8.1992.Page 79

30: عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابة: دراسات بنوية في الأدب العربي، ص: 15.

31: سارة: نهاد شريف رائد الخيال العلمي في الأدب العربي، مجلة الدوحة العدد110، فبراير 1985،ص:80.